## • استمرار أزمة الصراع السياسي

إن التصريحات النارية والهجومية لبعض المسؤولين، ولغة الفيتو والتهديد وتبادل الاتهامات وإستراتيجية وضع الخطوط الحمر أثارت في الآونة الأخيرة حفيظة الناس وزادت من قلقهم وتوترهم، فهي لا تؤدي سوى إلى خلخلة الثقة الجماهيرية، إضافة إلى أن أغلب هذه التصريحات تصب في الاتجاه الذي يؤدي إلى زعزعة المواقف الوطنية للحكومة.

يجب أن لا يكون التنافس السياسي مبنياً على حساب الأولويات الأخلاقية وبطريقة متصدعة ومرفوضة من قبل الجميع بل يجب أن تبنى بدقة وشفافية على أساس الحوار السلمي البناء.

فدعم الحكومة يعد التزاماً أخلاقياً وواجباً وطنياً ملزم به الجميع والكف عن التفكير بعقلية حزبية ضيقة ومنغلقة على نفسها.

لقد صار واضحاً أن حياتنا لا يمكن أن تسير إلا من خلال النضج السياسي والعقلانية في تداول المشاكل العالقة كما جاء في محكم قول الله تعالى:

﴿وَاتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[1].

وإن الانفعالات من شأنها أن تلحق الضرر بالمصلحة الوطنية، وأن أي خروج عن المواقف المنهجية الأصيلة هو تنصل ونكث بالمبادىء والمعايير الأخلاقية.

وكثيراً ما نأسف على خروقات بعض السياسيين الذين يتداولون مفهوم الوحدة الوطنية هنا وهناك بتفسيرات مشوهة لحقيقة المفهوم الصحيح والثابت للوحدة الوطنية المفروض السير باتجاهها بكل وضوح.

---

(1) سورة الزمر، الآية: 55.

أما الذين يصرون عن قصد مبيَّت تشويه تلك الحقيقة فهم المناصرون لتعميق الانقسام القومي والطائفي للشعب العراقي.

كما نأسف على عقول المتزمتين بآرائهم ومواقفهم المصلحية بعدم رؤية الأمور على حقيقتها ويتمسكون بالمفاهيم التي تسهم في تعميق الفتنة والتطرف دون أخذ العبرة من الشعوب التي اكتوت بنار الفتنة.

فلننظر إلى أشقائنا اللبنانيين الذين عاشوا ويلات الحرب الأهلية الطاحنة لخمسة عشر عاماً ـ ولا تزال نذر شؤمها تحددهم من جديد ـ كم أعطوا من الخسائر البشرية والمادية إضافة إلى الآثار النفسية السيئة التي لا زالت انطباعاتها وركام تأثيرها قابعة في نفوسهم.

إن الغيارى من أبناء الشعب العراقي قد حسموا قرارهم بالدفاع عن حريتهم ورفضهم لأي شكل من أشكال التسلط أو الهيمنة سواء جاءت من الخارج أم من قوى في الداخل، ويرفضون قطعاً أي مظهر من مظاهر العنف، وأول دعوة لهذا الموقف الموحد هو التخلص من الميليشيات وحلها بشكل كامل.. لأن وجودها يعني انتشار الفوضى وعدم الانصياع للقانون والتأكيد على أن من الضروري حظر تشكيل تلك الميليشيات داخل القوات المسلحة وخارجها.

عندئذٍ نستطيع القول أننا حققنا الضمانات الصريحة والصحيحة للحقوق الديمقراطية.

فالدولة العراقية الجديدة تتعامل مع جميع العراقيين بكل قومياتهم وأديانهم وطوائفهم على أساس المواطنة، وتترك للجميع ممارسة خصوصياتهم التي لا تتعارض ولا تتقاطع مع العمل الوطني العام الذي يحكمهم مقياس الولاء للوطن ويقوم على أساس الكفاءة.

فقد أدرك العراقيون أن التنوع والتعدد في أطياف مجتمعهم يشكل مصدر قوة لهم ولن يتعارض ووحدة العراق وليس عبئاً ثقيلاً على كاهله يمنعه من التقدم والازدهار.

فبناء الدولة التي يتقاسم فيها الجميع مسؤولياتهم وواجباتهم تجاه الوطن مبنية على

روح التفاهم والتآخي وعلى مبدأ العدالة وضمان الوحدة الوطنية من خلال حكومة قوية تضم جميع المكونات والقوميات، الموجودة في العراق على وفق التمثيل العادل حتى لا يبقى مجال للتشكيك في شرعية الحكومة ودورها تجاه الجماهير. ذلك خير لكم لا تظنوا به شراً وهو من فضل الله عليكم فلا تتبعوا خطوات الشيطان الذي يأمركم بالفحشاء والمنكر ليخرجكم إلى ظلمات الكفر وعن الحق تعرضون، والله هو الحق المبين القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1].

على جميع العراقيين الإيمان بضرورة فتح باب الحوار لأنها اللغة المناسبة لضمان أمن وسلامة واستقرار البلاد.

وعلينا أن نتعلم بأن فتح أبواب الحوار مع الخصوم ومحاولة السمع للطرف الآخر يجب أن يتخلله الصبر والتسامح.

لأن ثقافة الحوار تسهم في تعزيز الروابط الأخوية والإنسانية وتوفر المناخ المناسب للتعايش السلمي بين جميع فئات الشعب، وتشكل منطلقاً مهماً نحو الوحدة الوطنية والتضامن الشعبي، وتعمل في الاتجاه الإيجابي الذي ينعم بغلبة الخير على الشر واطفاء نار الفتنة والطائفية والتعصب وتسكن القلوب وتغمرها بالرحمة التي تدفعها نحو سبيل السلم والمحبة والحاجة إلى الرفض التام لكل مظاهر العنف والقتل والاعتداءات السافرة ومنها تلك التجاوزات الخطيرة على المقدسات ودور العبادة.

يجب توحيد الجهود الفاعلة بالاتجاه الذي يسهم في رعاية التفاهم والتسامح بين أبناء شعبنا الواحد لدفع البلاء والمحن وإجماع الناس على محبة الله، فالحوار بين المسلمين والمسيحيين وبين الأكراد والعرب وبين السُنّة والشيعة والطوائف الأخرى تعطي شعبنا القوة والصمود في مواجهة الإرهابيين، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

(1) سورة: الشعراء، الآية: 99.

(2) سورة: المائدة، الآية: 2.

بينما العنف والتكبر والأنانية لا يجلب لنا سوى البلاء والمصائب وويلات الحروب والمواجع والمآسي.

لقد كان الأنبياء يُضرَبون ويُشتَمون ولكنهم كانوا يفضلون اللجوء إلى الحوار.. فلنتعلم من نبيّنا محمد ﷺ ومن عيسى وموسى وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام مثلما كانوا يواجهون بطش الإرهاب والعنف من المشركين بلغة الحوار والتسامح والصبر حتى كان لذلك المنطق الإنساني العظيم دوراً وسبباً لانتصارهم على الكافرين..

انظروا أيها الإخوة كيف أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حاور الناكثين والمارقين والقاسطين وكل الذين سعوا إلى حربه بضراوة ففتح أمامهم باب الحوار بل فتح باب الحوار، أمام أشد خصومه ومنهم معاوية عندما بعث إليه الكثير من الرسائل يدعوه فيها إلى السلم والتحاور وحفظ دماء المسلمين، يجب أن نتبع هذا المنهج ونؤمن بتلك الثقافة ونتخذ لغة المنطق والحوار أساساً لحل مشاكلنا العالقة لأنها السبيل الأمثل لتجاوز الفتن والخراب وحقن دماء الأبرياء.

وانظر أخي المسلم كيف كان الحسين عليه السلام يؤكد على مبدأ الحوار مع أعدائه.. لقد حاورهم قبل القتال وكان يدعوهم إلى السلام والرجوع إلى الله وهو يعلم أنهم سيقتلونه.

وكان عليه السلام يبكي على أعدائه لأنهم سيدخلون النار بسببه بعد أن رفضوا الحوار وفضلوا معاداة الله.

فلا أحد يملك الحق على إجبار الناس على مبدأ أو رأي، نحن لا نخسر شيئاً إذا أثارنا الحوار مع خصومنا عسى الله يبعث المودة والرحمة ويحول العنف إلى سلام والسخط إلى رضا والكره إلى محبة، والله ذو فضل عظيم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

لذا علينا السعي جاهدين في كل وقت بالدعوة إلى التحاور.. فالتحاور أخي المسلم كان من أهم مبادىء الثورة الحسينية، فالسلام يبعث الأمل في حياة الشعوب.

(1) سورة: الأنعام، الآية: 117.

والحوار السلمي هو الذي يفرض إرادته على قلوب الناس، فالذين قبلوا رسالة الإسلام لم يتأثروا بسيف النبي بل كانوا يستخدمونها للضرورة.

عيسى عليه السلام لم ينتصر على أعدائه بالسيف بل غلبهم بالمحبة والحوار والسلام.

فمن يستخدم منطق القوة يكون عاجزاً عن الإقناع، فمبدأ القرآن وباقي الأديان السماوية كلها كانت تقوم على مبادىء سامية لحقن الدماء.

إن الإسلام قام على السلم، فتأثروا أيها الإخوة بأخلاق الرسول ﷺ وتأثروا بعفو النبي ﷺ وسماحته وسلامه وكسبه الناس بأخلاقه وبسماحة قلبه.

وتأثروا بأخلاق النبي عيسى عليه السلام وعفته وتسامحه ودعواته للمحبة والسلام بين الناس.

فالأنبياء والصالحون كانوا يستخدمون كل الوسائل الممكنة لإحياء الإنسانية في نفوس الناس، بينما نجد أعداءهم الضالين من الكافرين والإرهابيين يقتلون الأطفال ويقطعون أوصال الأبرياء ويرمون بجثثهم في الأنهر والطرقات ويستبيحون الأعراض ويدنسون المقدسات.

ولننظر إلى أعداء اليوم من الإرهابيين الأوغاد كيف يرفضون الحوار ويفضلون العنف والقتل وتفجير العبوات والسيارات المفخخة وسط جموع الناس، ليحصدوا أرواح المئات من المدنيين الأبرياء.. إنهم يتعاملون بنفس منطق جلاوزة الأمس لا يتورعون عن استخدام أية طريقة في قتل معارضيهم واستباحة أعراضهم، وما الفرق بين الذين ذبحوا الحسين وأنصاره بالأمس وبين الذين يذبحون أنصاره وشيعته اليوم؟ وما الفرق بين الذين ضربوا الكعبة بالمنجنيق في عهد بني أمية ومن هدم مقامي الإمامين العسكريين في سامراء؟ وما الفرق بين الذين اعتدوا على الناس بقطع أيديهم وأجسادهم وهم عراة في أسواق البصرة في أيام الحجاج، وبين الذين يمزقون أجساد الناس بالعبوات والسيارات المفخخة..

أجل هذه هي ممارسات القتلة الإرهابيين في كل زمان...

إن الله يعطي الإنسان حرية الاختيار.. أن يصبح في قافلة الناجين ويكون مع المؤمنين

الصادقين، أو أن يكون في قافلة أصحاب النار من الكافرين والإرهابيين، وهو القائل سبحانه وتعالى:

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1] و ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[2].

فالخالق ﷻ لا يقر بمبدأ الإجبار، فانظر أيها الإنسان المتعالي المتكبر المغرور الباغي المعتدي على الناس، حتى (الخالق الحاكم الأعلى المطلق للكون كله) لا يجبر أحداً على سلوك أي طريق ولا يسلب إرادة المخلوقين بل يخيرهم في طاعته وعبادته.

إننا نحتاج اليوم إلى ثورة حقيقية تقلع كل مظاهر الاعتداء والتجاوز والكفر من نفوسنا.. لنعيش ديمقراطية متمدنة حضارية ليست على شاكلة ديمقراطية بني أمية وبني العباس والعثمانيين والصفويين بل ديمقراطية الأنبياء والصالحين، ونرجع إلى الله تائبين نؤمن بأن السلام والمحبة والتعاون والتعايش السلمي وثقافة الحوار هي من المسلمات الإنسانية المهمة لنعيش في هذا الوطن منعمين بالأمن والاستقرار.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3].

(1) سورة: الكهف، الآية 29.

(2) سورة: البقرة، الآية: 256.

(3) سورة: الأعراف، الآية: 56.

## حكومة الوحدة الوطنية المعيار الحقيقي للديمقراطية

يمر العراق بمرحلة سياسية قد تكون الأهم بين كافة المراحل التي مر بها منذ سقوط النظام السابق في التاسع من نيسان من عام 2003م وليومنا هذا.

وتأتي أهمية هذه المرحلة لأنها تقوم على إستراتيجية تأسيس مرتكزات الدولة العراقية الحديثة وبناء مؤسساتها وفقاً لإقرار الدستور الدائم ومجلس نيابي منتخب، وحكومة تستلم زمام الأمور في البلاد للسنوات الأربع القادمة.

فعراق اليوم لا يحتاج إلى أشخاص طائفيين لأن مشكلته الحقيقية هي النزاع الطائفي والعرقي بين الأطراف السياسية... وهي التي تهدد البلاد وتقلق أمنه، لذا فإن الحكومة الوطنية المقبلة عليها أن تبتعد عن كل المظاهر التي تشجع على الطائفية التي تضعف كيان العراق وتنخر دعائم وحدته الوطنية.

ويجب احترام آلية وأصول العملية الانتخابية التي اجتمع العراقيون على صيانتها لأنها تعد الطريق الأمثل لبناء العراق وكل من يريد مصلحة شعب العراق.

وعلى الرغم من وجود عوائق تبطئ من العملية السياسية لكنها ستصب في نهاية المطاف إلى نتيجة إيجابية لأن الحرص موجود عند جميع الأطراف على إنجاح العملية السياسية وتشكيل الحكومة الوطنية.

إن التخوف الذي تعيشه الأطراف السياسية حالة مشروعة عند الجميع.. فالأكراد يخشون من حصاد حلبجة جديدة.

والشيعة يخشون من مفاجأة المقابر الجماعية ومذابح على الهوية المذهبية مرة أخرى.

والسُنَّة لديهم الخوف من أن يحل بهم ما حل بالشيعة. وهذا استدعى من كل الأطراف التفكير والتوقف بعض الشيء لتدارك الأنفاس وإيجاد التطمينات من عدم التهميش، وهذا ما فرضه عليهم واقع الحال الذي عاشوه أيام النظام البائد.

ليس خافياً علينا رؤية العملية السياسية بوضوح وما تمر به النخب السياسية العراقية من تعقيدات، وبالتالي فالموقف يحتاج إلى التفكير الهادىء واللجوء إلى الحلول السلمية المناسبة لحل المشكلات العالقة، وهذا يعطي جواباً واضحاً ورادعاً لكل الذين يريدون إرباك العملية السياسية وإجهاضها للعودة إلى نقطة الصفر كما يحلو للبعض وصفها، فعراق اليوم.. عراق التعددية الديمقراطية.. عراق إرادة الجماهير التي قررت الابتعاد عن التعسف والانتقاص ورفض الدعوة إلى المحاصصة المقيتة.

فبناء الدولة على أساس حزبي فئوي، وتهميش دور الكفاءات العراقية عمل غير صحيح ولا يخدم الجميع.

والعمل بهذا الاتجاه يشكل تخطياً لإرادة الشعب وضربة قاصمة للديمقراطية من بعد ما جاء الحق من الله فلا تكونوا من الذين يكذبون كلماته ليضلوا عن سبيله ويكونوا من القوم الخاسرين ويحق عليهم قول الله سبحانه وتعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

(1) سورة: هود، الآية: 16.

## الديمقراطية تجيز التعبير عن مطالبنا بالوسائل السلمية للحصول على المكتسبات السياسية

ليس هناك ما يمنع أن نتظاهر سلمياً ونرفع اللافتات التي تعبر عن مطالبنا، وأن نهتف بأصواتنا مطالبين بحقوقنا إن كانت مشروعة، أو أن نستهجن ونرفض موقفاً سلبياً يهدد أمننا أو يسيء إلى معتقداتنا ومبادئنا الوطنية أو التي تقلق حياتنا ومستقبلنا بأسلوب حضاري متمدن.

إلا أنه من الخطأ أن نجاهر بأصواتنا بالدعوة إلى تأجيج العنف وحمل السلاح والتشجيع على القتل ومصادرة آراء وحريات الآخرين، وبث الفتنة وقراءة الأحداث السياسية من خلال الطائفية والتعصب واختيار الطرق الشيطانية لافتعال الأزمات وابتكار مناهج التطرف..

إن تلك الأعمال مستهجنة شرعاً وقانوناً وهي مرفوضة تماماً ولا تمتّ إلى الديمقراطية التي تنمي روح التعاون والتآلف والتماسك الاجتماعي بين المواطنين إنما هي بوادر تتمحور في الاتجاه الغوغائي البعيدة عن اللياقة والدبلوماسية والتحضر.

إن التعبير الحر عن مواقفنا وآرائنا تعد نعمة من نعم الديمقراطية التي بفضلها استطعنا أن نرفع أصواتنا عالياً للمطالبة بحقوقنا بلا خوف، وقد حصلنا على تلك النعمة وقدمنا من أجلها أثمن القرابين.

لذا فمن الواجب الالتزام الأخلاقي والمنهجي بثوابت وآليات العملية الديمقراطية التي نجحنا بتحقيقها في زمن صعب.

إن المطالب بتحسين الوضع المعيشي للفرد العراقي ورفع مستواه الثقافي والاجتماعي وتوفير فرص العمل للعاطلين بدون استثناء هو مطلب مشروع وفق القانون، كما أن المطالبة بتوفير الخدمات وتحسينها مطلب مشروع أيضاً لكل العراقيين.

والتعبير عن طلب إنهاء تواجد القوات المتعددة الجنسيات في بلادنا هو الآخر أمر

مشروع، وحتى المطالبة بتحسين الأداء الحكومي للنخب السياسية التي انتخبها الشعب هو مطلب مشروع يدخل ضمن سياق الديمقراطية. ولكن تلك المطالب وغيرها لا يمكن تحقيقها من خلال الفوضى وإرباك العملية السياسية واحتقان الشارع بالتحريض على العنف.. لأن التهديد والعنف لا يولد إلا مزيداً من العنف إضافة إلى أنها بالمحصلة النهائية لا تأتي بالنتائج كما نرجو لها، فقد أثبتت المواقف بأن لغة التهديد والوعيد ليست هي اللغة الناجحة والمناسبة للحصول على المكتسبات السياسية والاجتماعية، بل إن من الحكمة والمنطق اللجوء إلى حل الأمور بطريقة ودية سلميّة وأخوية ودبلوماسية..

وأن لا يتخلل الدعوة إلى المناشدة بتحقيق أي مكتسب مهما كان نوعه عن طريق رفع السلاح والتهديد به..

إضافة إلى أن تلك الأصوات تهدف إلى إرباك العملية السياسية ونشر الفوضى في البلاد.

فجميع المشاكل والأزمات التي يمر بها العراقيون اليوم تقف ضدها الحكومة ومع الشعب، وتأخذ هموم المواطنين بنظر الاعتبار لأنها المسؤولة عنها وعن رفاهية الجماهير وتحقيق متطلباتهم المشروعة في العيش بكرامة وأمن واستقرار.

إن بلوغ مشروع الإنقاذ الوطني وتشكيل حكومة وطنية لتنفيذ البرامج التي تهدف إلى تحسين الأوضاع الأمنية والتقليل من الاحتقانات الطائفية التي برزت في الحكومة المنتهية ولايتها، إلى جانب تحسين الوضع الاقتصادي للبلاد بات ضرورة قصوى ولن تتحقق إلا بهمة الغيارى لنتجاوز معاً كل الصعاب والبدء بإنجاز الملفات العالقة وطي صفحة حكومة الأغلبية وبلورة مشروع حكومة وحدة وطنية، فضلاً عن تهيئة مناخات رصينة لإشراك جميع الأطراف في اتخاذ القرار دون تهميش لأحد أو إعطاء مميزات لآخرين. والعمل معاً لإنجاز المشروع السياسي العراقي وفق الآليات الديمقراطية المتفق عليها وعدم النكوث والإخلال بمقومات الوحدة الوطنية للشعب العراقي والاحتكام إلى قول الله تعالى:

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

(1) سورة: الفتح، الآية: 10.

## صراع النخب السياسية من أجل السلطة

يتطلع العالم اليوم إلى رؤية كفاءة العراقيين في قيادة بلادهم نحو بر الأمان والاستقرار من خلال تشكيل حكومة وحدة وطنية ترضي جميع مكونات وأطياف الشعب العراقي. فقد كان سلوك طريق الانتخابات خيار موفق أثبت من خلاله العراقيون أنهم خير من يمثل الديمقراطية ومبادئها الصادقة في ظل الظروف العصيبة التي يمرون بها.

رغم المواقف الصعبة والحرجة إلا أننا مستمرون في مسيرتنا الديمقراطية ونستدعي من جميع النخب السياسية نكران الذات والتنازل النسبي عن بعض المكتسبات الحكومية لاستمرار دوران العجلة السياسية إلى الأمام.

كما يجب إلغاء ورفض كل التحفظات تجاه الكتل السياسية واللجوء إلى التحاور والجلوس إلى طاولة التحاور السلمي وهي الوسيلة المناسبة التي يجب أن يجتمع حولها جميع مكونات الشعب العراقي لأننا اليوم بأمس الحاجة لتخطي هذه المرحلة الصعبة من تاريخ العراق الحديث...

فالتاريخ سيلعن كل من يكرس النعرات الطائفية والقومية في مجتمعنا ويحاول أن يدمر حضارتنا التي عمقها أكثر من ثلاثة آلاف سنة من الإبداع والتألق والازدهار والقيم والمبادىء والإنسانية..

فنحن بحاجة إلى مقترحات وبرامج للإصلاح الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي وغيرها من المجالات الأخرى، لنسهم في رقي حضارتنا الإنسانية ونرفع من شأن المواطن العراقي شأنه شأن أي مواطن آخر يعيش في أي مكان من العالم. ولكن يبقى أن من المهم أن نتعايش سلمياً ونتعاون معاً على المحبة والسلام على أرضنا، ونتفق بلا أحقاد أو ضغائن لبناء العراق الجديد، وهي حتماً تحتاج إلى جهد جماعي لا يمكن أن تتحكم في طائفة واحدة أو جبهة واحدة ولا قائمة واحدة..

يجب أن يكون هناك تحالف وطني مع احترام الاستحقاق الانتخابي ورفض كل مظاهر العنف والتعاون المطلق مع الأجهزة الأمنية من أجل فرض سلطة القانون للحفاظ على أرواح وممتلكات المواطنين.

إن تحقيق التوافق بين القوائم والكيانات والكتل السياسية أمر في غاية الأهمية يسترعي العمل الدبلوماسي لتشخيص الخلل إن وجد، ومعالجته بحكمة بعيداً عن مراسيم التهديد والوعيد وإشهار السلاح.

وعلى جميع النخب السياسية أن يدركوا أن الشعب جازف بالنزول إلى الشارع وتحدى كابوس الإرهاب بالتصويت على الدستور لانتخاب مرشحيه في البرلمان.

فقد ارتقى بقراره الشجاع موقفاً وطنياً وتاريخياً وحضارياً متميزاً.. حيث بلغ من خلال ذلك القرار درجة عالية من الوعي والإدراك لتفهم جراحه وصعوبة موقفه لرسم مستقبل العراق الديمقراطي الحر.

لذا على النخب السياسية التي اختارها الشعب أن يدركوا أنهم جاءوا وفق اختيار حُر ليسيروا على طريق الحرية والديمقراطية، وهي حتماً مدعومة ومؤيدة من قبل الجماهير وتقف اليوم أمام امتحان صعب، عليها أن تختار موقف الشعب وتضحياته ودمائه الغالية على بعض الاستحقاقات المنصبية.

ونحن على يقين أن تلك النخب السياسية لن تخيب آمال الشعب وصحة قراره في المضي نحو صناديق الاقتراع يوم إعلانه عن ثورته البنفسجية الكبرى لسحق الإرهاب وبناء العراق الجديد. قال تعالى:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (1)

كثيرون هم مَنْ يجيدون لغة الخطابات التخريبية والتحريضية التي تنطلق من اعتبارات بث التهم والمتاجرة بالأخلاقيات والوطنيات والشعارات الدينية، وتتكلم زيفاً وتملقاً باسم المقاومة الشريفة، وتُكفر أبناء الشعب العراقي وتتهم مَن تشاء بالعمالة

(1) سورة: إبراهيم، الآية: 27.

والتبعية للاستعمار. بل وأخذت تشجع أعمال القتل على الهوية المذهبية لتنشر الفرقة والانقسام بين مكونات المجتمع العراقي.

ليلعب هؤلاء المتشرذمون دوراً قذراً يسيء إلى جوهر الدين الإسلامي واستغلال الظروف الآنية ليأخذوا دور المحرض والمخرب والإرهابي، لتلتقي أفكارهم مع أفكار المجرمين المفتقرين إلى روح المواطنة الحقيقية الذين هدفهم الوحيد هو التصيد في الماء العكر والمتاجرة بالوطنية والدين سياسياً وإعلامياً.

إن الأطروحات العمياء التي تبناها الإرهابيون المجانين والتي تشجع قتل أبناء الشعب العراقي تحت حجج وذرائع لا منطقية تثبت عجز مصداقية المتكلمين عن المقاومة، وتؤكد على جهل الذين يقومون بأعمال التحريض بغية تحقيق مكاسب آنية على حساب الشرف والمبادئ والقيم الإنسانية، كما تؤكد أعمالهم الرخيصة على عدم فهمهم بأمور دينهم ودنياهم حتى باتت فتاواهم تشكل خطراً على واقع الحياة اليومية للمواطنين، مما يدفع بالضرورة إلى تطويق وتحجيم نشاطات تلك الفرق التي تعتقد أن القانون بعيد عنهم ولا يمكن أن يطول عمائمهم المزركشة التي تخبئ تحتها شياطين تشجع على المجاهرة بمخالفة القواعد الإنسانية وتتجاوز على حدود الشريعة الإسلامية السمحاء، بل وتتحدى في لفتها القيم الأخلاقية النبيلة التي تدعو إلى السلام والمحبة والتفاهم، وقد أفصحت تلك الفرق الكلامية عن إفلاسها السياسي والإعلامي وبُعدها الحقيقي عن الدين والوطنية عندما اعتلوا منابر المساجد ليغرروا بالشباب ويدفعوا بهم إلى محرقة الانتحار والفتنة والموت المجاني أملاً في تعكير العملية السياسية، وإبقاء العراق دولة خراب ودمار بلا قانون ولا سيادة وطنية يعيش في ظل ميليشيات وطوائف تتقاتل فيما بينها من أجل السلطة، ويبقى في النهاية الخاسر الوحيد هو الشعب العراقي. إن الأجدى بهؤلاء الذين يدعون الوطنية باسم الدين أن يجلسوا على طاولة التحاور والتفاهم وفتح صفحة العفو والحوار الدبلوماسي السلمي الحضاري بدلاً من لغة العنف والقتل والمساومة والتمويه والمخادعة وإعطاء الذرائع للإرهابيين المرتزقة للتسلل إلى داخل العراق تحت ذريعة الجهاد والمتاجرة بالوطن باسم المقاومة والجهاد ليجعلوا من العراق بلداً يسبح شعبه في

حمامات الدم والقتل العشوائي من خلال السيارات المفخخة والعبوات الناسفة باستهداف المدنيين الأبرياء، وتكشف تلك العمليات الإجرامية عن بشاعة الأيدي الآثمة للمتسللين العرب وغير العرب الذين يحملون في قلوبهم حقداً، وفي نفوسهم الدنيئة غايات بائسة للانتقام من شعب الحضارات والخيرات والهمم.

إن قيام هؤلاء الإرهابيون بتلك الأعمال الوحشية تنبثق من منطلق تصفية حسابات سياسية إلى جانب حسابات الحقد والضغينة والانتقام قسماً كبيراً منها لها جذور تاريخية قديمة، الغالبية من تلك العمليات الإجرامية نسبت باسم السُنَّة العرب ظناً أنهم قادرين على تمرير مآربهم في بث الفرقة والانقسام بالعزف على وتر الطائفية والعنصرية والمذهبية وهو خطاب ساذج لا يمكن تحقيقه أبداً، لأن أبناء الشعب العراقي قد كشفوا سر هذه اللعبة وإن ما يربطهم من روابط الأخوة والدم هي أقوى من كل المؤامرت والفتن والدسائس التي تحاول أن تنال من وحدتهم وتماسكهم الوطني والاجتماعي والتاريخي لأنه أعمق وأكبر من أن يفهمهُ الصعاليك والإرهابيين والمتاجرين بدماء الشعوب.

## ظهور الإرهاب التكفيري والتشدد الديني

إن بروز ظاهرة التشدد الديني في واقع العلاقات الإنسانية مسألة خطيرة ساهمت في خلقها الظروف الراهنة التي تمر بها بلادنا. حيث اكتسحت المجتمع حتى أخذ الناس ينظرون إلى الأشياء والمفاهيم كل حسب ثقافته ومذهبه ومعتقده.

إلى أن أصبحت ظاهرة التشدد والغلو تأخذ منحىً خطيراً.. تستوجب الرد والحزم والموقف الوطني الشجاع.

فمن الطريف أن يكون من جملة الأمور التي أفتى بها أولئك المتشددون الأصوليون التكفيريون استنكارهم لتحية الصغار للعَلَمْ الوطني كل صباح في مدارسهم واعتبروها بدعة وأجازوا قتل كل من يقوم بها ونسوا أن العلم يمثل رمزاً وطنياً مقدساً، والنبي ﷺ كان يعهد لصحابته ممن يثق بحماستهم في الحروب والغزوات لحمل الراية، وقصة جعفر الطيار رضي الله عنه الذي قطعت يداه في معركة مؤتة وظل محافظاً على راية الجيش حتى سقط صريعاً لهي خير دليل، وقصته مشهورة في السيرة النبوية الشريفة.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

فمن السخف والسخرية أن يمنع هؤلاء الأصوليون من التكفيريين أداء تحية العلم لأنها غير جائزة، إضافة إلى الفتوى بقتل من يقوم بها لأنها بدعة.

إن ثقافة العنف والاعتداء مرفوضة تماماً في الإسلام، وإن هيئات إصدار الفتاوى بغير منطق العقل والشرع لا يجوز قطعاً، ومن يحلل الحرام ويفتي بغير علم ودراية مفسد لعين يريد خراب الدين وفرقة المسلمين.

فالدين الإسلامي.. دين رحمة ورأفة وتسامح، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويرفض ويحرم بشدة كل الأعمال التي تسيء إلى الإنسان والإنسانية.

(1) سورة المائدة، الآية: 77.

فالإسلام لا يقبل أن يقوم الإنسان بذبح أخيه الإنسان تحت أي حجة أو ذريعة، لأنه عمل مشين مخالف لكل الشرائع والأديان السماوية ولا يمكن أن يقوم به كل مَنْ يملك عقلاً سليماً ومنطقاً ينم عن حسن الفكر والسلوك. كما يرفض الإسلام أي تشويه لأجساد القتلى والتمثيل بها حتى ولو كانوا أعداء للمسلمين، وكتب التاريخ مليئة بالمواقف التي استهجن واستنكر فيها النبي ﷺ ما قام به المشركون عندما مثلوا بجثث المسلمين ومنها: ما قامت به هند زوجة أبي سفيان التي مثلت بجسد سيدنا حمزة ﷺ في معركة أُحد، فالإسلام يعد ظاهرة التمثيل بجثث القتلى سنة غريبة غير جائزة لأن الإنسان الذي أكرمه الله بالخلق له حرمة لا يجوز استباحتها حياً وميتاً.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1].

التطرف في الدين أو الفكر أو العقيدة أو السلوك غاية خطيرة تعرض صاحبها لخطر الهلاك.

وظاهرة التطرف الديني التي ازدادت أوزارها في بلادنا تأتي بمعنى الغلو والتشدد، وتلك الحالة تعد من الظواهر الشاذة التي ابتلت بها أمتنا الإسلامية عموماً، حيث تفشّى فيها مرض التعصب للرأي وازداد فيها الخلافات والفتن والعنف الطائفي.

ولعل من أهم أسباب انتشار هذه الظاهرة هو غياب الوعي والإرشاد الديني المعتدل جراء تفشي الفتاوى المزيفة التي حرفت الواقع، وحللت الحرام وألبست الحق بلباس الباطل نتيجة سيطرة المنافقين والمارقين والمنحرفين على المؤسسات الدينية واعتلاء بعض شيوخ الضلالة منابر المساجد لبث سموم الفتنة بين صفوف الناس الآمنين.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

والتطرف لا يمكن التصدي له من خلال استخدام أساليب الشدة والمقاومة بالعنف وإنما خير أداة لمواجهتها أن يتم التعامل معها عن طريق مخاطبة العقل والحوار السلمي

(1) سورة: الأعراف، الآية: 33.

(2) سورة: هود، الآية: 16.

وإثبات الحجة بالحجة والإقناع باستخدام المنطق والحكمة والموعظة الحسنة، ونبذ أساليب العنف باستخدام السلاح واللجوء إلى زرع العبوات الناسفة في الشوارع والأزقة وإطلاق صواريخ الكاتيوشا وقذائف الهاون على البيوت الآمنة ومؤسسات الدولة الخدمية أو تفجير السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة وسط جموع الناس الأبرياء كوسيلة للتفاهم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[1].

إن الشباب ممن يتعمقون في الدين ويأخذون الفقه من غير أهل الاختصاص يصابون بلا شك بضعف البصيرة ويفهمون الدين عكس حقيقته وتهيمن على عقولهم أفكار ترى الأشياء خلافاً للواقع وبعيداً عن العقل والمنطق السليم.

فمثلاً... نجد الكثيرين منهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها من أجل حلق اللحية أو تحريك الأصبع في التشهد أو زيارة القبور أو الأخذ من هذا المذهب أو ذاك أم من ذلك الفقيه أو ذلك العالم إلى غيرها من الأمور الأخرى.

فالتعصب لا يسمح برؤية واضحة للأشياء، ويغلق سبل الحوار والتفاهم والتعايش السلمي بين مختلف فئات المجتمع وطوائفه كما ويسهم في خلق المشاكل والعقبات ويسهّل الطريق إلى العنف والاقتتال.

ولا شك أن الدين حاجة ضرورية للإنسان شأنها شأن الغرائز الأخرى ولكن من المهم السيطرة على هذه الحاجة دون أن تدفعنا إلى الجنوح وارتكاب الحماقات باسم الدين من خلال تفسير الأشياء والمفاهيم بشكل مبالغ فيه إلى حد التطرف والغلو.

فالإفراط في التدين والتعمق فيه يدفع الإنسان إلى نتيجة الهروب من الواقع وأخذ جانب الكفر والإلحاد في أغلب الأحيان.

لذلك فالإسلام حذر من الغلو وأكد بشدة على ضرورة الابتعاد عنه وتحريمه.

جاء في قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾[2].

(1) سورة: هود، الآية: 21.

(2) سورة: المائدة، الآية: 77.

كما أكد الرسول ﷺ على ضرورة ابتعاد الناس عن منهجية التشدد الديني مؤكداً على أن التسامح والاعتدال هو الطريق القويم والسليم للإنسان لأنه يبعده عن الكفر والإلحاد وخطر الهلاك من معصية الله.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (1).

إن التطرف والتشدد الديني يبعث على الظن السيئ واتهام الآخرين بالكفر والمروق عن الدين والبدعة.. وهذا ما دفع بالتكفيريين للوقوع في شرك التطرف فقالوا بتكفير كل من يخالف آراءهم ولا يتوافق مع عقيدتهم التي خالفت عموم المسلمين ممن يؤمنون بالاعتدال.. فأنصار التكفير من الجماعات الإسلامية الأصولية هي الأكثر تطرفاً وغلواً حتى خرجوا عن الصواب والحق بعد أن زين لهم الشيطان أنهم الأفضل تمسكاً بالدين والعقيدة، حتى كفروا البشرية قاطبة واستباحوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم دون أن يكون لأي إنسان حرمة أو ذمة عندهم.

ليصبحوا بذلك مخالفين للشريعة الإلهية التي كثيراً ما أوصت بالإنسان خيراً، ودعت إلى السلام والمحبة ونهت عن الجور والظلم والقتل والاعتداء والإسراف في الدين بالشكل الذي سار عليه هؤلاء الضالون المنحرفون عن طريق الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (2).

فالعالم اليوم يعيش أزمة التطرف التي قادت إلى سلسلة طويلة من الإرهاب الدموي والقتل العشوائي للأبرياء بلا ذنب نتيجة التطرف الأعمى الذي شكّل عقبة أمام الواقع الإنساني الطامح لتحقيق عالم يسوده الأمن والاستقرار والحرية.

لقد أخذت الحركات الدينية تزداد يومياً شدة وغلظة لتشكل خطراً محدقاً بالعالم وكانت الأكثر شدة وبلاءً على الشعب العراقي في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها.

(1) سورة: يوسف، الآية: 113.

(2) سورة: يونس، الآية: 44.

فعلى الرغم من أن الإسلام ينبذ التطرف ويرفضه أشد الرفض إلا أن بعض الجماعات قد وقعت في فخه، ومن الصعوبة خروجهم منه إلا بالرجوع إلى مقومات القوة الإيمانية الثابتة المتمثلة بالجانب الفكري الذي يغذيه الفكر الإسلامي الصحيح والمعتقدات السليمة التي ترسخ حب الخير والتعاون مع كل الأجناس البشرية.

فإعلان الحرب على الجميع أمر في غاية السخف، والترويج له حماقة، والإيمان به موضع سخرية ورفض واستهجان كل الشعوب.

فما الذي يشكله سماع أغنية حتى يتم الإعلان عن مقاتلة الدنيا من أجل منع الغناء أو قتل من يحلق شعره مثلما يحب ويرغب، أو استباحة دم وعرض ومال إنسان لمجرد رأي يبديه أو فكرة يطرحها أو كتاب يؤلفه أو مسرحية يمثلها حتى يصبح كافراً في معتقد أولئك التكفيريين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[1]

إن الذين يخولون أنفسهم سلطة القاضي وسلطة الجلاد هم وراء تلك الانتكاسة التي نعيشها اليوم، والخلل الفكري هو الذي يقود إلى ذلك المنطق الأحمق بمساعدة الخطاب الديني المتشدد الذي يسهم في نقل الإنسان إلى هيئة التطرف والعنف مع تداخل الخطب والفتاوى المحرضة التي تشجّع على مثل تلك الانتهاكات وتكرس قضية التكفير لمهاجمة الآخرين.

إضافة إلى أن المناهج التعليمية تساهم هي الأخرى بشكل أو بآخر في تعميق تلك القضية وتدفع بشبابنا إلى هاوية التطرف... فكثيراً ما تمجد المعارك والقادة وتختار كل النصوص الدينية التي تعمق روح الفرقة والتعصب والتشدد الديني.

إن المسلمين الأوائل قد جاهدوا من أجل تقرير حرية الإنسان على وجه الأرض في كل بقاع الدنيا والدفاع عن حرمات المسلمين ومساجدهم وأعراضهم.

---

(1) سورة يونس، الآية: 59.

فالإسلام دين الحق والهداية والحرية والرحمة والرأفة.. دين الأخلاق الحميدة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتشجب الاعتداء على الآخرين وسلب حقوقهم المشروعة في العيش بسلام ومحبة على أرض الله.

ويؤكد الإسلام على شريعة أن يكون الحكم لله فيما شرع وما أنزل من بينات ونصوص محكمات.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1].

(1) سورة: يونس، الآية: 82.

## الخطاب الديني المتشدد ودوره في إشعال الفتنة الطائفية

من المؤكد أن لرجال الدين والمفكرين الإسلاميين دوراً مهماً في تفعيل سبل التقارب ما ب ن المذاهب والعقائد والجمع بينهم على أسس الوحدة الوطنية والثوابت الإنسانية.

فكما هو معلوم للجميع بأن الخطاب الديني له تأثير كبير على المجتمع العراقي، إلا أننا أسف لأن هذا الخطاب لا يزال بعيداً عن محتواه الحقيقي وعن دوره الأساسي وتأثيره الإيجابي في لمّ الشمل بين فئات المجتمع العراقي. ولا زال غير قادر بالتعبير عن المنطلقات الأساسية ومنها الدعوة إلى الوحدة والتكاتف ونبذ الطائفية، لأنه خطاب مستسلم لمصاحة الأحزاب والفئات ومنشغل بالماضي أكثر من الحاضر والمستقبل، لأن رجاله لا زالوا متمسكين بقدراتهم على نبش قبور الماضي والبحث في متاهات لا فائدة مرجوة منها.

إن الخلافات وإن كانت موجودة ما بين هذه الطائفة أو تلك، أو بين هذا المذهب أو ذاك يجب تسخيرها لصالح المجتمع وليس بالضد منه، فالإسلام أحيا الاجتهاد والمجادلة ولكنه في نفس الوقت أكد على الحوار السلمي والاجتهاد البنّاء الذي فيه خدمة الناس.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

ومن الضروري أن يشعر علماء الدين والمفكرين الإسلاميين بأننا جميعاً ننتمي إلى عائلة واحدة وليس من مصلحتنا إثارة النعرات الطائفية لأنها تقتل في داخلنا حب الوطن وتبعدنا عن الله. وفي نفس الوقت تشجع الإرهابيين على اختراق صفوفنا وإنزال المواجع والمآسي بشعبنا. فحذار أن نسمح بشق الصفوف وتفريق الكلمة ولنتذكر قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[2].

---

(1) سورة الحشر، الآية: 19.

(1) سورة الصف، الآية: 13.

لأننا نعيش في زمن صعب مليء بالتحديات، وشعبنا تحمل أكثر مما يجب من الضغوطات والآلام ويحتاج إلى أن يشعر بالأمان والاستقرار، وهذا بالتأكيد ليس مطلباً صعباً أو مستحيلاً.

ولكنه من الممكن أن ينجح لو استطعنا أن نحقق التضافر الإسلامي والارتقاء بالدين لصالح الإنسان، وركزنا على الجوانب الإنسانية ومنها مبدأ الحوار ونبذ العنف بالرجوع إلى كلمة الحق والتكاتف والتعاون على اجتياز المحنة التي نعيشها.

فالمرحلة الآتية تستوجب التقارب ما بين جميع العراقيين على اختلاف مذاهبهم وأعراقهم لأن الوحدة الوطنية أصبحت من الضرورة بل من الحاجات الملحة لمواجهة الإرهابيين الذين أخذوا ينفذون عبر الفراغ السياسي والتناحر الطائفي والتفكك الوطني الذي نعيشه مما أسهم في تقوية شوكة المجرمين الإرهابيين.

لا يمكن أن نلقي باللوم على رجال الدين فقط ولكننا نؤكد بأنها تقع على عاتقهم مسؤولية كبيرة لإحياء المفاهيم الإنسانية داخل المجتمع، ودفع الناس بالاتجاه الذي يسهم بالرجوع إلى الله من خلال الاعتصام ونزع عن كاهلنا نوازع الشر والعدوان والبغض والكراهية.

وكم نحن بحاجة إلى علماء دين واقعيين معتدلين صادقين أوفياء لأنفسهم وللدين ولله ممن يكونون على شاكلة شيخ الأزهر (الدكتور محمد سيد طنطاوي) الذي قال مخاطباً العراقيين:

إننا نعيش في زمن انتشرت به الفتن في مشارق الأرض ومغاربها وهذه تتطلب من العلماء أن يجتمعوا لكي يقولوا كلمة الحق. ودعا الشعب العراقي إلى تجاوز الفتن الطائفية لأنها مهلكة ومدمرة للعراقيين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[1]

(1) سورة: البقرة، الآية: 208.

بينما نجد بعض علماء الدين في بعض الأقطا ـ العربية والإسلامية يطلقون أصواتهم من على منابر الجوامع وفي الفضائيات الإرهابية بالدعوة إلى فرصة الانطلاق الطائفي وتشجيعها لتنمو بين العراقيين في أحلك الظروف التي يعيشونها تحت منهج متعصب متطرف. وبلادنا تشهد يومياً سقوط العشرات ، المئات من الشهداء جراء تصاعد العمليات الإرهابية الجبانة التي تستهدف الأبرياء في المدن والشوارع والمدارس والجوامع والكنائس، لتصبح قضية التحريض عند أولئك العـ ـ بعيداً عن جوهر الدين الإسلامي ومبادئه السامية لارتكازها على التعصب التكفيري المعلن، والعراق يشهد شر الأزما ت وأصعبها في مواجهة برابرة هذا الزمن، وبذلك خرج هؤلاء العلماء عن احترام الدين الإسلامي من خلال تأجيجهم للفتنة بين المؤمنين وصب الزيت على النار، بينما العراقيون يحتاجون إلى التعاون المطلق من إخوانهم باختلاف مذاهبهم دون الانجرار وراء سياسات أنظمتهم.

لقد حذرت جميع الأديان السماوية من مغبة الوقوع في هاوية التطرف والغلو والتشدد الديني حيث حذرت منه كثيراً في التعبد والاعتقاد والسلوك والأخلاق وفي التشريع.

وديننا الإسلامي جاء ليؤكد على أشد النفور من هذه الظاهرة مؤكداً على الوسطية كما جاء في محكم قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1].

إلا أن انتشار المذاهب والطوائف وترعرع الملل والعقائد المتباينة أدى إلى تفشي مرض التعصب للرأي، واشتداد الجدل والخلاف كانت لها أسباب كثيرة ومتعددة أهمها غياب الوعي الديني المتزن والفهم العميق للنصوص الشرعية والفتوى الدينية غير المسؤولة التي يفتي بها المنافقون الذين يتخذون من الدين خلطاً بين مفهومي الفوضى والثقافة الدينية، مما ساعد على انقياد بعض الشباب لهؤلاء الوعاظ غير الأكفّاء ممن اعتلوا المنابر ليتحدثوا بما لا يفقهون فأضلوا الناس بجهلهم.

(1) سورة: البقرة، الآية: 143.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾.[1]

التدين في الإنسانية غريزة تحتاج إلى إشباعها شأنها شأن الغرائز الأخرى، وعدم إشباعها يؤدي إلى قلق واضطراب نفسي قد يقود إلى انحراف في الدين عندما يأخذ الإنسان جانب الغلو في المبالغة الفقهية إلى حد التطرف الذي يعد مرضاً خطيراً يقود صاحبها إلى التفريط الذي يؤدي بالنهاية إلى الكفر والإلحاد، وهذا الاتجاه يساهم في خلق أجيال لا يمكن أن ترجو الأمة من ورائهم خيراً لأنهم يعمدون إلى تهديم الإسلام فكراً وعقيدة.

قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.[2]

كما أكدت السُّنَّة النبوية الشريفة بضرورة الابتعاد عن التشدد في الدين ودعت إلى التواضع واليسر والاعتدال مثلما دعت إليه التعاليم الإسلامية السمحة.

روى أبو يعلى في سنده عن أنس بن مالك ﷺ:

أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**»[3].

فمن أجل الحد من الغلو والتطرف قاوم النبي ﷺ كل اتجاه يدفع المسلمين إلى أخذ جانب التطرف في الدين.

فالإسلام أكد على منهج الوسطية والتي سمَّاها «الصراط المستقيم»، كما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.[4]

---

(1) سورة النساء، الآية: 53.

(2) سورة المائدة، الآية: 77.

(3) «صحيح مسلم» و«البخاري».

(4) سورة البقرة، الآية: 143.

حيث جعلها أمة الاعتدال التي تؤمن بما هو صحيح وخير للناس جميعاً لأنها أمة العدل والإنصاف.

فالله يأمرنا أن ندعو الآخرين بالحكمة والموعظة الحسنة وقول الحق، ونهانا عن الفظاظة والشدة في الحوار، وذكر القرآن بسلمية الحوار الحسن الذي يطفو على المناقشة ودعوة الآخرين في اتخاذ السلوك السوي في ضوء الشريعة وأحكامها والتي تؤكد بالسير على الصراط المستقيم والسلام والمحبة بين كل الأديان.

قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [1].

فالحوار الذي يبنى على شدة القول والصلابة في الموقف والرأي يدفع إلى الجدل والعنف والانقياد وراء الأفكار المتطرفة وتوجيه التهم والإدانات. وللأسف الشديد فإننا نعيش أياماً عصيبة حيث ينقاد الناس وراء البدع وسوء الظن وتكفير الآخرين وترويعهم واستباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم دون أن تكون لهم حرمة ولا ذمة، هؤلاء هم الذين أصابتهم عدوى مرض التطرف وخرجوا عن الملّة ورموا كل التعاليم والشرائع السماوية التي جاءت تخاطب الناس في عدم أخذ جانب التفريط في الدين وراء ظهورهم، فالغلو يخلق جوراً وظلماً، والإسراف فيه يقود الإنسان إلى الضياع وخسران الدنيا والآخرة.

نحتاج عند التعامل مع هذه الظاهرة الخطيرة أن نأخذ جانب العقل والحكمة وأن ننظر إليها نظرة واقعية باعتبارها أمراً يجب التعامل معه باستبصار لاحتواء خطرها من خلال إبعاد الشبهات ومقارعة الحجة بالحجة بعيداً عن التعصب والطائفية، وكما أسلفنا القول فالتطرف مرض معدٍ والواقعين تحت تأثير هذا المرض يحتاجون إلى الحرص عند التعامل معهم لعلنا نجد الدواء المناسب لهم.

إن الحوار السلمي مسكّن فعال ولكنه ليس العلاج الشافي بل يحتاج ذلك المرض إلى صبر وقدرة فاعلة على احتوائه حتى لا ينتشر ويبتلى به الناس.

---

(1) سورة النحل، الآية: 125.

إن الإسلام المحمدي ينبذ التطرف أشد النبذ ويرفض كافة الأفكار التي تدعو إلى التشدد، ويؤكد على السلوك الذي يعتمد مبدأ الحكمة في الممارسات الإنسانية لأن ذلك الاتجاه يمثل سمواً أخلاقياً عالياً يسهم في الرقي والتقدم والازدهار.

إن فكرة الوحدانية ليست بشيء جديد فهي فكرة لها جذور قديمة وستبقى فكرة أزلية في داخل النفس البشرية، وما اليهودية والمسيحية والإسلام سوى دين واحد متصل الحلقات قد جاءت كلها لخدمة الإنسان وإضاءة الحياة بنور الخير والإيمان بالله.

غير أن ظهور الإسلام كخاتم للأديان كان إعلاناً حاسماً في تاريخ الإنسانية، قد دعا إلى الكثير من الممارسات على مختلف الأصعدة والمجالات عبرت عن الرقي والسمو والإبداع الحضاري لأنه دين التسامح والرحمة والسلام.

إلا أن ظهور الغلو في الدين من بعض التكفيريين أخذ يزداد كثيراً وهي ظاهرة سلبية قديمة خلقت مع ظهور بوادر الشقاق بين المسلمين الأوائل، عندما بدأ المسلمون ينقسمون على أنفسهم إلى طرفين رئيسين: سُنَّة يقفون مع القوة السياسية الجديدة التي تعول على نيل السلطة الدينية بعد وفاة النبي ﷺ، والشيعة الذين كان ولاؤهم لعلي بن أبي طالب على اعتبار أنه أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، وهذا ما أنكره عليهم مخالفيهم في الرأي، بالإضافة إلى عوامل أخرى كالتماس المباشر بين العرب المسلمين والشعوب المجاورة من غير العرب أدت إلى انتشار ظاهرة التطرف حتى أخذت تزداد يوماً بعد يوم ليتبناه التكفيريون الذين يعدّون من أخطر الفرق الإسلامية وأكثرها اتهاماً بالتشدد والعنف والإرهاب إلى أن أصبحت من الخطورة أن أخذت تهدد كيان الأمة الإسلامية والعالم بأجمعه.

لقد أصبحت مشكلات التطرف والتعصب والإرهاب من القضايا المهمة التي نالت نصيباً وافراً من الاهتمام والدراسة نظراً لخطورتها وتأثيرها السلبي المباشر على مظاهر الحياة المختلفة وتهديدها للسلم والاستقرار في جميع أنحاء العالم، حتى أخذت معظم مشاكل الشرق الأوسط تنطلق من منطلق التطرف بعد أن ارتبطت تلك الظاهرة بالأزمات السياسية التي تشغل الكثير من بلدان العالم.

ونظراً لما لهذه المشكلات من أهمية على اعتبار أن التطرف آفة العصر الحديث وظاهرة أفرزتها الأحداث الساخنة التي تعرضت لها منطقة الشرق الأوسط وبرزت بالشكل الخطير، مما يسترعي وضع كافة الحلول المناسبة لردعها والحد منها على اعتبار أن تلك الظاهرة بوصفها كفراً وخروجاً عن الدين الإسلامي تشكل إعاقة للمجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية من التقدم والبناء الحضاري، ونظراً لأن الإسلام أكد على ضرورة أن يغرس في النفوس حب الخير والتعاون مع الآخرين والعمل سوية لخلق ثقافة متميزة تنم عن الاعتدال والوسطية في طرح الأفكار والآراء فإن ذلك الخرق يعد تهديداً خطيراً للسلم العالمي.

إن هؤلاء التكفيريون الذين يقتلون الناس الأبرياء بغير حق قد نسوا الله فأنساهم الله أنفسهم ليسكنوا في جحيم أعمالهم، وهم أشد الناس اعتراضاً لالتقاء الحضارات وارتقاء الإنسان في عيشه ومستقبله لتحقيق السبيل الأمثل للحياة الآمنة المستقرة في ظل سيادة القانون.

إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبين للبشرية قاطبة بأن حرية الإنسان ـ أينما كان ـ أمر مقدس، لذا عبَّر الخطاب القرآني في أكثر من موضع على تأكيده على حرية الاعتقاد والتسامح الديني كما جاء في قوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[1].

لم تكن تلك الأمانة التي عرضها الله على الإنسان تحت الضغط والقسر والإجبار، وإنما كما جاء في محكم قوله ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فحملها راضياً مقتنعاً بإرادته دون إكراه وفق حرية الاعتقاد وحرية الاختيار.

ثم يؤكد الله سبحانه وتعالى على أهمية تلك الحرية بالقول:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[2].

(1) سورة: الأحزاب، الآية: 72.

(2) سورة: البقرة، الآية: 256.

ليتعظ الناس ويفهموا بأن طبيعة الدين إنما تقوم على الإيمان في باطن النفس، ولا قيمة لظاهرها إن كان الإنسان غير صادق بإيمانه في صومه وصلاته وصيامه وحجه.

فطبيعة العقل الإنساني لا يمكن إكراهه بواسطة قوة خارجية ضاغطة تعمل على فرض أو تغيير الأشياء التي يؤمن بها.

فلكل إنسان السلطة العليا المطلقة في الحكم لنفسه في أمور الدين، ولا يمكن أن يعهد بها إلى أي سلطة سواء أكانت مدنية أم دينية.

والحياة التي وهبها الله ﷻ للإنسان هي ذات قيمة عليا وليست عبثاً وإنما منحها للإنسان كي يحافظ عليها ويرعاها.

ونهى بشدة في أكثر من موضع في القرآن الكريم عن إهدار تلك الروح:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[1].

لذلك عبّر عن كل من يتجرأ على قتل نفسه أو قتل الآخرين بالجريمة الكبرى والإثم العظيم، وأن جزاء تلك الفعلة النكراء اللعنة والعذاب الشديد والخلود في نار جهنم، وهي أشد عقوبة ينزلها الله بالكافرين اليائسين من رحمته كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[2].

فالخلاف والعنف السائد في عالمنا اليوم سببه التشدد الديني وافتقاد روح التسامح التي أشار إليها الله ﷻ حيث الناس جميعاً خلقهم ووهبهم الحياة العظيمة وليس لأحد الحق في حرمان الآخر من حياته وحقوقه المدنية أو ممارسة شعائره الدينية.

أما مرجع الثواب والعقاب فهي من حق الخالق وحده، لأن الله لم يمنح السلطة لأي إنسان أو جهة كي يقوموا محله، والناس كلهم معرضون للخطإ وهذا الأمر متروك بين الإنسان وربه، ومن يعتقد بأنه الأقرب إلى طريق الحق والنجاة ممن خالفه في الرأي أو الفكر أو العقيدة قد سلك طريق الضلالة، وافتقد روح التسامح التي أكد عليها الله، ومن

(1) سورة: الإسراء، الآية: 85.

(2) سورة: النساء، الآية: 93.

يتكبر على الآخرين ويتبنى فكراً تكفيرياً متشدداً باضطهاد الآخرين واستباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم فقد كفر بالله وخرج عن ملّة الإسلام واتخذ الشيطان له ولياً من دون الله.

إن الإيمان بالله ر به ورسله أمر رائع وجميل لأنه يسهم في تحقيق الأمن والاستقرار والسعادة لكل البش ، و هم في تقارب الحضارات ورقي الإنسان وإعمار الكون بالخير والمحبة والسلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1].

أما المساجد ، بيوت الله الآمنة، وللناس الحق في دخولها والتعبد فيها، ولا يجوز أن تستخدم كمنبر سياسي لأية جهة كانت، أو جعلها مخزناً للسلاح والأعتدة وتفخيخ السيارات التي تفجر وسط جموع الناس الأبرياء لتقتل العشرات بلا ذنب، كما لا يجوز أن تستخدم للت - ' إرهاب ودعم الإرهابيين أو التحريض على قتل الناس المؤمنين أياً كانت ديانتهم أو م هبهم أو عقيدتهم أو قوميتهم، كما لا يجوز شرعاً أن تصبح بيوت الله منطلقاً للعدوان وايواء القتلة والمجرمين ممن لا يراعون في الله حرمة.

فمن يؤمن بالله واليوم الآخر.. سيدرك بقلب مؤمن صادق أن كل من يؤذي أخاه في الدين أو الإنسانية يعمل عملاً لا يقبله الشرع وترفضه كل الأديان السماوية.. لأنه عمل مقزز مقرف غير صحيح ولا يمت إلى أي دين بصلة ولم يبلغ عنه أي رسول أو نبي، إنما هو عمل من فعل الشيطان لأنه عدوان على حرمة الله وحرمة المؤمنين وعلينا قطع الطريق على هذا التوجه الضال، جاء في قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[2].

إن الذي يعمل على تدمير وخراب بيوت الله التي جعلها الله ﷻ آمنة لكل خائف ومأوى لكل غريب ومحتاج، وسلام لكل من يبحث عن الطمأنينة، هو عدو الله والمؤمنين جميعاً.

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 143.

(2) سورة: التوبة، الآية: 17.

إن هذه المساجد التي ملأها الله بالخير والأمان وبملائكة الرحمن وجدت لعبادة الله وحده وأداء الواجبات الدينية تجاه الخالق، وهذه الأهداف النبيلة تتنافى مع الإرهاب والعنف وجرائم القتل والابتزاز والتحريض في العدوان على الآخرين. أما الجماعات التي تعمل على ممارسة هذه الأفعال الشنيعة فهي حتماً جماعات متطرفة خارجة عن الدين والعرف الاجتماعي، يدعمون نوازع الشيطان ولا يؤمنون بترسيخ القيم الإسلامية النبيلة التي تدعو إلى التسامح والمحبة والسلام والرحمة والتعايش السلمي ما بين جميع الطوائف والقوميات، هم أعداء الله والإنسانية ممن يفترون على الله الكذب، أولئك هم الظالمون. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ليس عيباً أن ندافع عن أفكارنا وأن نحاول إقناع الآخرين بها، ولكن دون أن تصل النتيجة إلى محاولة فرضها بالعنف والإجبار.

لأن ذلك يعكس حقيقة كوننا ضعفاء لا يمكننا أن نقنع الآخرين إلا بالوسائل الهمجية واليربرية التي اندثرت منذ سنين طويلة من عمر البشرية.

فالقوي هو الذي يحاول أن يشرح وجهة نظرهُ بالمناقشة الإيجابية والحوار السلمي وأن لا يتعصب لرأيه ويتشدد في فرضها حتى لا يظلم الآخرين.

فالخائف والخاسر والفاشل هو الذي لا يمكنه أن يتعايش سلمياً مع الآخرين لأنه لا يملك مقومات الإنسانية الصحيحة.

علينا أن نحترم الإنسان في مفاهيمه ومعتقداته دون أن نفرض عليه ضغوطات على حرية أفكاره ونجبره على الانقياد لأفكارنا بالعنف.

فلنتقرب من الله بالإيمان والمحبة والسلام ونجعل حياتنا محراباً للصلاة، لتغسل قلوبنا من الغل والحقد، ولنتعلم أسلوب العطاء، ولننظر إلى الآخرين بنظرة الرحمة والرأفة والتآلف والمحبة.

(1) سورة: البقرة، الآية: 114.

يجب أن نصل إلى الدرجة التي يمكننا أن نطرح آراءنا بحرية وأن نناقشها بموضوعية، وأن لا تتحرك القضايا من خلال العواطف والانفعالات بل على أساس مقارعة الحجة بالحجة.

علينا أن نتخلص من الصراعات الفوضوية بين المذاهب كلها، وعلى أتباع كل مذهب أن لا يتمسكوا بمقولاتهم على أنها وحدها هي الحقيقة المطلقة، حتى يمكن أن ينشأ بين الجميع مساحة للحوار.

فالمسألة تتحدد عند نقطة معينة هي: كيف يمكن أن يكون أسلوبنا في الحوار مع الآخرين؟

يجب أن نتخلص من الشكوك ورمي التهم وأن نطرح فكرة الاقتناع التام بضرورة اللجوء إلى السلام والمناقشة الفاعلة السلمية، وأن نتخلص من الأنانية والأنا التي تسيطر على آرائنا، وأن نؤمن بأن هناك رأياً صواباً يحتمل الخطأ ورأياً خطأً يحتمل الصواب.

فمن الممكن أن يكون رأيك خطأً أو صواباً ويمكن أن يكون رأيي خطأً أو صواباً، فالمسألة ليست فرض الآراء التي تمنع الحوار، بل أن نملك أنفسنا عند الحوار وأن نقتنع بأننا مع الحقيقة في وصولنا إلى القاعدة الصحيحة التي نتمكن من خلالها شرح آرائنا.

الله ﷻ حاور إبليس اللعين في أكثر من موقع... فهل هناك أعظم من الله؟

كما حاور القرآن المشركين في توحيد الله وفي وجوده وفي نبوة النبي محمد ﷺ لذلك عندما تحدث القرآن كانت الدعوة إلى الحوار....

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

هذا يعني أن القرآن الكريم يعلمنا السلوك الأمثل في أن ندخل في حوار مع أهل الأديان الذين نلتقي معهم في الخطوط العامة للرسالات، فنحن نستطيع أن نتحاور في الكثير من الأوضاع دون اللجوء إلى العنف والتطرف ومصادرة الرأي الآخر.

لذلك فالقرآن الكريم وسيرة النبي محمد ﷺ والصحابة والأئمة الأطهار أوصوا إلينا بأن ننطلق في خط الدعوة إلى الحوار السلمي من خلال أسلوب نعبر فيه عن أفكارنا في

(1) سورة: النحل، الآية: 125.

مواجهة الآخرين دون تشدد وتطرف وتعصب، قال تعالى:
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1].

أما ما يخص الجهاد الذي يتستر تحت عباءته المتطرفون من التكفيريين والإرهابيين الفوضويين فهو ما أمر به الله ﷻ: جهاد وقائي ودفاعي وليس جهاداً عدوانياً على شاكلة ما يقوم به المجانين الذين تسللوا عبر الحدود ليثيروا في بلاد الرافدين الفتنة والحرب الأهلية وإشاعة ثقافة القتل الجماعي، فالإسلام دين الرحمة والسلام والمحبة وليس دين العنف والقتل والذبح واستباحة الأعراض.

إن ظاهرة اتسام العمل السياسي بالعنف والإكراه والضغط والقتل هو عنوان الفاشلين الذين لا يملكون رصيداً شعبياً أو دراية سياسية أو خلفية ثقافية رصينة... وهؤلاء هم أصحاب النظريات الديكتاتورية والاضطهاد وقتل المدنيين الأبرياء.

يجب أن نسعى إلى إيجاد حالة شعبية مستقرة منفتحة على قضايا الحرية والعدالة دون أن نستنزف قدرات الشعب.

لأن اضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان ليست مسألة حضارية بل هي حالة إهدار للحرية وجريمة كبرى بحق الإنسانية.

وللأسف الشديد لم يعد أمر الأصولية التي يتبجح بها التكفيريون مقتصراً على المفهوم الديني فقط بل أخذت الأصوليات في الشرق الأوسط تتداخل في أمور كثيرة منها سياسية واقتصادية واجتماعية....

ومحاولة فرضها بالقوة دون اللجوء إلى الحوار السلمي التي تعتبر من أهم الظواهر الحضارية لعالمنا الجديد، لذا أصبح الناس قاطبة يعانون القلق من الأصولية المتشددة بسبب ما تفرضه من آراء وفرضيات وسلوكيات عدوانية بعيدة عن النمط الإنساني المتحضر.

فالمفاهيم الأصولية أخذت تقف بالضد من كل تطور وانفتاح وتتخذ موقفاً سلبياً من التطور العلمي وفي شتى مجالات الحياة الأخرى.

---

(1) سورة: العنكبوت، الآية: 46.

وتحاول أن تلغي الآخر عن طريق العنف كأساس منفرد لا مفر منه في مواجهة الناس.

إن استلاب فكر الإنسان ومحاولة إخضاعه ثقافياً وسياسياً عن طريق استخدام لغة العنف المفرط والعدوانية الفوضوية، لا سيما في الاتجاهات الدينية يتناقض وقوانين حقوق الإنسان والشريعة الإسلامية المتسامحة، كما ويتناقض تماماً مع ما يتحدثون به في وسائل الإعلام لأنهم في الأساس يكفرون كل من لا يتوافق مع منهجهم التكفيري أو يؤيده، بينما القرآن الكريم يطرح الحوار ويقر بالوجود المميز للآخر وضرورة المناقشة السلمية بعيداً عن العنف والقتل والترهيب.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [1]

إلا أنهم يعدون تلك المحاولة في إيجاد السبل السلمية لتقارب الأديان والحضارات مجرد تفاهة أو سخافة لا يمكن أن يسيروا نحوها، لأنهم في الأساس مؤمنون بعملية بطلان الحوار والتعايش السلمي ما بين البشر في جميع أنحاء العالم.

(1) سورة: آل عمران، الآية: 64.

## الإسلام يرفض التشدد والتطرف الديني ويوصي بالرحمة والتسامح

كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية أوصى صاحبها بتقوى الله إلى أن يقول: «**ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تمثلوا ولا تغلوا ولا تغدروا**»[1].

وكان علياً عليه السلام يأمر جيشه فيطيل القول: (لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم فإنكم بحمد الله على حجة)... إلى قوله:

(فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا الستر ولا تدخلوا داراً إلا بإذني، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم)[2].

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يأمر قادة الجيش الالتزام بأخلاق الإسلام وتعاليمه السمحة ويذكرهم بقول الرسول ﷺ بعدم التمثيل بقتلى الأعداء:

«**إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور**»[3].

وكثيراً ما كان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يذكر المسلمين الالتزام بأخلاق الإسلام في الحرب ويوصي جيشه بالرأفة بالأسرى وإكرامهم والابتعاد عن روح الانتقام والحقد. وكثيراً ما يذكر بقول رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالأسرى خيراً**»[4].

تلك هي أخلاق الإسلام الحقيقية التي تنهى عن كل ما يغضب الله ورسوله وتشجع على فعل الخير وتوصي بالرحمة والرأفة حتى مع الأعداء، وتشجع على الالتزام بمبادىء المحبة والسلام والابتعاد عن روح الانتقام.

---

(1) «المستدرك» الطبرسي، ج11، ص: 39، الحديث 12379.

(2) المصدر نفسه، ص86، الحديث 12481.

(3) «نهج البلاغة»، ج5، ص120.

(4) «سيرة ابن هشام»، ج2، ص209.

ولو تذكرنا فتح مكة وتصرف النبي ﷺ عندما وقف منتصراً أمام أعدائه الذين آذوه وأخرجوه من مكة بالعنف والقوة، إلا أنه لم يتصرف تجاههم بنفس الأسلوب وإنما عفا عن أعدائه وكأنهم لم يؤذوه، ووهبهم الحرية والأمان ومنحهم السلام في ديارهم وقال قولته الشهيرة:

«من دخل بيته فهو آمن، ومن دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن».

على الرغم من أن أبا سفيان كان من أشد المشركين إيذاءً للنبي ﷺ وأصحابه.

وكانت الفرصة سانحة للنبي ﷺ لكي ينتقم ويعمل السيف فيهم جميعاً، بعد أن مكنه الله عليهم، إلا أن عظمة أخلاقه وسمو روحه الزكية دفعته للعفو عنهم دون أن تأخذه الشدة والغلو في الدين ممتثلاً لقول الله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

(1) سورة: الأنبياء، الآية: 107.

## • الإسلام يرفض الإرهاب

إن أخلاق أسلافنا من أئمة المسلمين كانت تنهى أشد النهي عن ترويع المسلم لأخيه المسلم. فكيف والمسلمون اليوم يقطعون أجساد بعضهم البعض بلا خوف من الله؟ فَلِمَ لا نهتدي بهدي المؤمنين الصادقين المصدقين بيوم الهول العظيم ونسير على هداهم فائزين، فهذا سيدنا أبو بكر ﷺ في أيام حروب تحرير بلاد فارس جاءته صُرة، ففتح أبو بكر الصرة فلقي فيها رأساً. ففزع وقال:

ما هذا؟ قالوا هذا رأس قائد من قادة الفرس، فأنكر عليهم، قالوا: يا خليفة رسول الله، إنهم يفعلون ذلك بقادتنا، إذا قتل قائد مسلم يأخذون رأسه ويبعثونه لملكهم كسرى أو لقائد جيوشهم رستم.

فقال: أستناناً بفارس والروم؟ ـ يعني: تستنون بسُنّتهم؟ تجعلونهم أئمة لكم تقتدون بهم ـ والله لا يحمل إليّ رأس بعد اليوم، إنما يكفي الكتاب والخبر ـ تقولون لي قتل فلان، عمل كذا.. بالكتاب وبالخبر ـ.

هذه هي أخلاق أسلافنا من أئمة المسلمين الذين يرفضون استباحة حرمة الإنسان وهو ميت حتى ولو كان عدواً لدوداً.

أما الإرهابيون القتلة ممن ينسبون أنفسهم إلى الإسلام زوراً وبهتاناً فيقومون بصلب وقطع وتمزيق أجساد الأبرياء، وتفجير المصلين إلى أشلاء داخل المساجد في بلادنا وينسبون أنفسهم إلى أمة المسلمين والإسلام منهم براء.. إنهم قتلة هذا الشعب المؤمن.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[2].

(1) سورة: الحج، الآية: 1.

(2) سورة: الحج، الآية: 57.

إن الذين يقتلون الأطفال وينسفون المدارس ويغتصبون النساء ويذبحونهن.. هم قتلة هذا الشعب.

والذين يخطفون ويحجزون الرهائن من المدنيين الأبرياء ويقتلونهم ويمثلون بجثثهم.. هم قتلة هذا الشعب.

والذين يقتلون العمال المساكين ويفجرون تجمعاتهم بواسطة السيارات المفخخة.. هم قتلة هذا الشعب.

والذين يسملون عيون الأبرياء ويقطعون أيديهم ويحرقون جثثهم.. هم قتلة هذا الشعب.

والذين يهدمون دور العبادة ويضربون بيوت الناس بصواريخ الكاتيوشا.. هم قتلة هذا الشعب.

والذين يزرعون العبوات الناسفة في شوارع وأزقة بغداد.. هم قتلة هذا الشعب.

والمتباكون والمؤيدون والمساندون لهؤلاء الإرهابيين المجرمين الأوغاد بأي شكل من الأشكال.. هم قتلة هذا الشعب.

وإن الأبواق الطائفية المقززة والمقرفة التي تشيد بأعمال هؤلاء القتلة والفضائيات التي تنشر أخبارهم وتخرج من على شاشاتهم صور الشهداء الذين سقطوا غدراً على أيدي هؤلاء السفلة.. هم قتلة هذا الشعب.

وإن هيئات إصدار الفتاوى من الأعراب المساندين لهذه العصابات الإرهابية.. هم قتلة هذا الشعب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1].

إن الشيعة والسُنّة كانوا وسيبقون إخوة ويرفضون كل المؤامرات التي يخطط لها الذين يريدون أن ينصبوا أنفسهم أمراء إرهاب على رقاب العراقيين، فبئس ما يقومون به من أعمال إجرامية، وبئس أخلاقهم ومصيرهم، وحقّ عليهم قول الله تعالى:

(1) سورة: الحج، الآية: 77.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[1].

إن الإسلام يؤكد على مسألة الموعظة الحسنة والجدال الهادىء والبعد عن العنف ونبذه حتى لا يتحكم في مسارنا الفكري.

فمن الأفضل لنا جميعاً أن نختار الأسلوب الحسن والفكر المتفهم المتوازن الذي تعلوه البسمة والتفاؤل والإيحاء الإيجابي، حتى نستطيع أن نصل إلى ما نريد بلا مشاكل ومنازعات.

فالعنف لا يمكنه أن يحل المشاكل أو يقنع الآخرين بوجهات نظرنا..

والرجوع إلى الله هو سبيل الحكمة والرشاد.. قال ﷻ:

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

لذا فالالتزام الأخلاقي والديني يؤكد علينا أن نختار الكلمات والألفاظ التي لا تسيء إلى الآخرين وتحط من مكانتهم وتقلل من شأنهم، بل السعي إلى اختيار الألفاظ الحسنة التي تمكننا من إدارة الحوار بشفافية وأن يتخلل ذلك الحوار الحكمة بأن توضع الكلمة في موضعها والموقف في محله.

إن سلمية الحوار أفضل بكثير من الجدلية العقيمة والتصادم الفكري السلبي.

قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3].

أي بمعنى اختيار الأسلوب الأفضل للحوار حتى نستطيع أن ننجح في كسب الآخرين، وندرك بأن العنف هو المرض الذي يفتك بالمجتمع.

وعلينا أن نحذره وأن نجتنبه ما استطعنا، كي لا نفقد إنسانيتنا ونرجع إلى زمن العصور القديمة عندما كان الإنسان يلجأ إلى القوة والعنف والقتل في مواجهة الآخرين كأفضل وسيلة لحل مشاكله ومتطلباته اليومية في الحياة.

وإذا أردنا أن نضمن إنسانيتنا وحريتنا وحقوقنا، ونتقدم حضارياً ونضمن لأولادنا وللأجيال القادمة مستقبلاً زاهراً مفعماً بالأمل والرقي والمدنية، علينا أن نفصل الدين

(1) سورة: غافر، الآية: 52.

(2) سورة: الإسراء، الآية: 53.

(3) سورة: النحل، الآية: 125.

عن السياسة، وأن لا نبالغ في الاجتهاد بالنصوص الدينية التي قد تدعو في بعضها إلى التشدد والقوة حيث كانت تتناسب ومتطلبات الحياة فيما مضى من الزمن.

إن الديمقراطية التي ضحينا من أجلها وقدمنا لها القرابين الغالية تحتاج إلى الصبر والتسامح والتعايش السلمي والتعاون كي نحقق معاً ما نرجوه ونضمن ما هو أفضل لحياتنا أمنياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

وعلينا أن لا ندخل الدين في اللعبة السياسية لأن تسيّس الدين ليس في صالحنا ويتناقض تماماً مع ما نطمح إليه من حياة ديمقراطية مدنية معاصرة، وعلينا أن نحترم الدين ولا نقحمه في القضايا التي تساهم في استهلاكها وتبعدها عن أهدافها النبيلة في الحياة.

فهناك فرق كبير ما بين الصلاة واحترام الذات الإنسانية وأداء الواجبات الدينية تجاه الخالق وبين أن نحرك القضايا الساخنة التي تهم الشعب وتحتاج إلى توازن سياسي، وهذا لا يعني أن نكون ضد حرية الآخرين ونفرض عليهم آراءنا. فالصراع الفكري السلمي الذي يهدف إلى تقدم المجتمع ويسهم في تقارب وجهات النظر بين طبقات الشعب شيء مهم ولكن في نفس الوقت من الضروري أن نحمي حريتنا وتطلعنا الإنساني وما نرغب التعبير عنه بحرية، مع التأكيد بأن العنف مرفوض تماماً لأنها ليست العملية الجراحية الناجعة للكثير من الأمراض، فقد تقتل الحياة دون أن نشعر بدل أن تهبها الحياة.

**من المهم طرح مفهوم دولة الإنسان في عراقنا الجديد.. لماذا دولة الإنسان؟**

لأنها سبيل الحوار والابتعاد عن الطائفية والتعصب الديني والسياسي وحتى يتسع الوقت للمشروع السياسي أن يأخذ مجراه الطبيعي.

عندها يستطيع الجميع أن يطرحوا أفكارهم وآراءهم بلا عنف أو حواجز وإنما يكون هناك نصر للدبلوماسية الإنسانية كي تأخذ مكانها المناسب لحل المشاكل العالقة...

فالتفاهم والتعايش السلمي بين جميع الطوائف وفق التسامح والتساهل يحقق المكتسبات الوطنية للشعب من خلال النجاح في تحقيق عناوين شرعية هادفة تخدم

طموحاته وتطلعاته وتضمن له حقوقه، عندها يمكن الاستفادة من فاعلية الحرية والديمقراطية التي نصبو جميعاً إلى تحقيقها.

والذين لا يحبون الدخول في مواقع الحوار سيخرجون من الساحة السياسية حتماً لأنهم لا يستطيعون البقاء في مواجهة الفكر الآخر.

لأن وسيلة القمع والعنف والضغط والمؤامرات والغموض السياسي لا يمكنه أن يخلق الانتصار دائماً، لذا مهما كانت الساحة صغيرة فإنها يمكن أن تسع جميع العراقيين سواء أكانوا سياسيين أم علماء دين أم مثقفين وغيرهم من الشرائح الأخرى. فمن المهم جداً اتباع المناقشة البناءة الهادفة والحوار السلمي وإن وجد الاختلاف فلا بأس من الجدال السلمي للوصول إلى نتيجة ترضي جميع الأطراف.

الإسلام يؤمن بأن الصداقة الإنسانية هدف نبيل وهي التي تقرب الناس من بعضهم البعض وتخفف من الصراعات الفكرية وتقلل من المشاكل الإنسانية.. وعندما يتحدث الإسلام عن الجهاد كضرورة، فيما لو تناقشنا في هذا الجانب فإن الدين الإسلامي بسماحته ويسره لم يتحدث عن الجهاد على أنه الأساس في إسقاط حرية الإنسان واختزال دوره ووجوده، إنما تحدث عنه كعملية دفاعية للوقاية من العدوان والظلم وفي سبيل أن لا يضطهد الإنسان. بينما نجد أن مدخل الحوار لدى الأصوليين أن الجهاد أساس في مفهوم إسقاط حق الآخرين وفرضها بالعنف والقوة والإجبار ومحاولة استلاب أفكار وآراء المخالفين لهم.

إن الحرية مصدر إبداع وتطور وتقدم للحياة وهي شيء مهم، أما الفوضى والتشدد الفكري والديني والاجتماعي والسياسي فشيء آخر يسهم في قتل الإبداع والتقدم والإنسانية وتدمير البلاد.

كثيراً ما يتحدث السُنَّة والشيعة عن خلافاتهم وهي نفسها التي كانوا يتحدثون عنها قبل ألف سنة...

فإذا كانت المشكلة التي يرونها عالقة بينهما فهي عدم تنازل كل طرف للآخر وهو ما ورثوه عن الماضي.

وفي الحقيقة فإنه بالإمكان دراسة أية مشكلة لدى كل الأطراف، ليس بالضرورة تحديد السُنَّة والشيعة فبالعلمية والموضوعية ودراسة كل طرف لما عند الطرف الآخر والاحتكام للعقل والمنطق والرجوع إلى الله وسُنَّة نبيه محمد ﷺ سيجد الجميع أنهم متفقون، وأن النقاش من واقع حماسي وانفعالي لا يخدم العراق أرضاً وشعباً.

وعلى الجميع أن يدركوا أن لا وقت للتحديات والنعرات الطائفية والمذهبية... فالأرض قد تنهار تحت أقدامنا ونخسر وطننا...

فلنترك الهوامش الصغيرة والتفاصيل الضيقة والمكاسب الآنية ولنعش بذهنية منفتحة لآفاق واسعة، فالمستقبل الذي ينتظرنا شيء جميل ورائع، فلنفكّر كيف نستطيع أن نبني هذا الوطن ونخفف جراح شعبنا المظلوم، لنصل جميعاً إلى بر الأمان والاستقرار.

## العمليات الانتحارية وقتل الأبرياء شرك وكفر بالله ﷻ

إننا نعيش زمناً لم يعشهُ أجدادنا وآباؤنا من قبل، فيه عجائب وغرائب منها: ظاهرة الإقدام على الانتحار بقتل النفس والآخرين من خلال تفجير الأجساد النتنة أو تفجير السيارات المفخخة وسط مجاميع من الناس الأبرياء، وهو عملٌ لا يمكن وصفه بالشجاعة بل بالجريمة الكبرى التي تهز أركان العرش الإلهي، ومن يقدم على الانتحار هو الإنسان الذي يوصف بالجبن والخوف والفشل والضلالة والإجرام. وإن عمله الإجرامي ينم عن انعدام الضمير والشرف، فمثل هؤلاء النفر الضالين عن طريق الحق والصواب يصابون بالطيش والكفر وتهون عليهم حياتهم وحياة الآخرين.

فما تقوم به الزمر الإرهابية التكفيرية بقتل المزيد من المدنيين الأبرياء بشكل متعمد عشوائي عمل يتنافى مع ما أوصت به الشريعة الإسلامية بتوجيه المسلمين بالمحافظة على دماء الناس.

وقد جعل الله تعالى عقوبة قتل النفس عمداً من أفظع العقوبات، وجعل الحساب عليها أول القضاء يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]

إن الإسلام يحرم قتل النفس بصفة عامة، سواء إذا قتل الإنسان غيره أو قتل نفسه بأية طريقة، لأن إيقاف حياة النفس الإنسانية هي حق الله وحده ﷻ لأنه هو الذي أوجدها وخلقها ومنحها الحياة، وكل من يساهم في سلب هذه الحياة عمداً فإن ذلك يكون تعدياً لحدود الله.

(1) سورة النساء، الآية: 93.

ولكن الإرهابيين القتلة أعلنوا عن انحرافهم وضلالتهم وبعدهم عن الإسلام عندما أخذوا يستبيحون ما حرم الله تحت لباس الدين والمقاومة ليرتكبوا بحق العراقيين أبشع الجرائم بتفجير الأحزمة الناسفة والسيارات المفخخة وسط حشود الناس الآمنين، متحدين أمر الله الذي نهى في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[1].

كما جاء تغليظ الوعيد من الله ﷻ على قتل النفس وأن قتل النفس الواحدة يعد بمثابة قتل جميع الأنفس التي خلقها الله ﷻ كما قال ﷻ:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2].

فقتل النفس من الموبقات المهلكات ومن أكبر الكبائر، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك: ماله ودمه**»[3].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»[4].

فكيف بهؤلاء الإرهابيين المرتزقة وهم يقتلون المؤمنين ويسفكون دماءهم بلا حق تحت ذريعة الجهاد الكاذبة؟ وقد ثبت في الشرع النهي حتى عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك فكيف بقتل الآدمي؟ وكيف بالمؤمن؟ وكيف بقتل المرء الصالح؟

عن البراء بن عازب ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**»[5].

وقد جعل الله تعالى جناية قتل النفس بعد الـ ـك به حتى تدرك النفوس فظاعة هذه الجريمة وعظيم خطرها وشدة عقابها يوم القيـ ـ، قال تعالى:

---

(1) سورة: الأنعام، الآية: 151.

(2) سورة: المائدة، الآية: 32.

(3) رواه ابن ماجه.

(4) رواه الترمذي.

(5) رواه ابن ماجه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۞ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1].

إلا أن إصرار هؤلاء النفر الضالين من التكفيريين والإرهابيين الذين غرر بهم للقيام بأعمال حرمها الله بنسف أجسادهم وسط حشود الناس لقتل أكبر عدد ممكن من المدنيين الأبرياء، قد زين لهم الشيطان أن الانتحار وقتل المؤمنين هي الوسيلة المناسبة لدخولهم الجنة التي يزعمون أنهم ذاهبون إليها ورموا وراء ظهورهم كتاب الله وسُنّة نبيه المصطفى ﷺ.

وقد قال الله تعالى فيما أوصى نبيه محمداً ﷺ في ذكر الأمور التي حرمها على عباده في الأرض:

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[2].

فويل للكافرين الإرهابيين المجرمين الذين يقتلون الناس بغير حق، ويستبيحون ما حرم الله ويكذبون بما أنزله على نبيه ﷺ ويفترون على الناس بالقول بأن ما يقومون به هو الشهادة في سبيل الله... والله بريء مما يفعلون، إنهم قوم ضلوا عن سبيل الله وزين لهم الشيطان مساوىء أعمالهم البشعة حتى غرر بهم وأنساهم عذاب الله وعقابه وهو القائل ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[3].

فذكر تهديداً شديداً ووعيداً أكيداً لمن أقدم ويقدم على هذا الذنب والفعل الشنيع الذي هو مقرون بالشرك والكفر بالله في غير آية من كتاب الله عزّ وجلّ، والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً.

قال ابن عباس ﷺ: إن القاتل لا توبة له، أي لا تقبل توبته.

وعن معاوية قال: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»[4].

---

(1) سورة: النساء، الآيتان: 29 - 30.

(2) سورة: الأنعام، الآية: 151.

(3) سورة: الأنعام، الآية: 151.

(4) «صحيح مسلم» و«البخاري».

فعلى كل الذين انحرفوا عن طريق الصواب الرجوع إلى الله قبل فوات الأوان حين لا ينفع الندم يوم الحساب الأكبر... والابتعاد عن المجرمين القتلة قبل أن تتلطخ أيديهم بدماء الأبرياء.

روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

**«من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله»**[1].

فكيف إذا أعان على قتل العشرات من المؤمنين بلا ذنب؟.

عن ابن عباس ﷺ قال: من قتل مؤمن متعمداً جاء يوم القيامة أخذه بيمينه أو بشماله فشجب أوداجه من قبل عرش الرحمن يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني[2].

إن قاتل النفس ظلماً خالد في النار كالكافر بدون فرق، ويمكث في نار جهنم زمناً طويلاً يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم.

ولا شك أن من كان عنده مثقال ذرة من الإيمان وسمع قول الله تعالى:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[3].

فإنه يفر من العدوان على دماء المسلمين كما تفر الشاة من الذئب.

فعن عمر ﷺ قال: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدم الحرام بغير حله»[4].

أما الإرهابيون السفاحون الذين اعتدوا على أبناء الشعب العراقي ظلماً وبهتاناً فهم مرتزقة هذا العصر من الذين لا يتورعون عن قتل طفل صغير أو امرأة أو شيخ عاجز أو رجل يبحث عن قوت عائلته، أو شاب مسكين يحلم بمستقبله، وهم أعداء البشرية في كل مكان وزمان.

---

(1) رواه ابن ماجه.

(2) رواه البخاري.

(3) سورة: النساء، الآية: 93.

(4) رواه البخاري.

هم أعداء الإنسانية والتقدم والحضارة يعتقدون أن بقتل الإنسان وحريته وحقه في العيش سيسهم في ترسيخ مفاهيمهم العدوانية وأفكارهم الآثمة وتطلعاتهم المريضة، وقد ختم الله على قلوبهم وأسماعهم وعلى أبصارهم غشاوة حتى يزدادوا إثماً وكفراً ليشتد عذابهم في نار جهنم.

لقد اختار العراقيون طريق الحرية والديمقراطية ولا سبيل للرجوع، لأن الإرهاب إلى زوال مهما حاول الإرهابيون بأعمالهم الإجرامية تعكير صفو الحياة في بلاد الرافدين فإنهم لن يستطيعوا أن يقهروا هذا الشعب، ولن ترهبه التفجيرات مهما كان صنعها وقوتها ودويها، ولن توقف عزمهم وإصرارهم على رسم المستقبل الآمن السعيد، وسيكون البقاء للعراق وشعبه الأبي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

إن الجهاد كما أراده الإسلام المحمدي ليس بالدعوة إلى العنف والقتل والتفخيخ والتفجير والذبح والسلب والنهب والاعتداء على الآخرين وسلب حقوقهم وإرادتهم وحريتهم وإنما هدفه دفاعي لرد العدوان.

وإذا كان دين محمد ﷺ قد انتشر بالدعوة والمجادلة الحسنة والحكمة والإقناع فلماذا نعيش نحن زمن الدعوة بالعنف والإكراه والإرهاب؟

إن القضية حتماً مرتبطة بالثقافة القومية العربية والإسلامية التي دربتها الأنظمة الاستبدادية في كراهية الأجنبي والانسياق وراء الفلسفة التي تدعو إلى مقاومته بعد أن تم تجريده من كل معالم الخير، إلى أن جاء من يستثمر تلك الفلسفة ويبني من خلالها آراءه المتطرفة، فمن هذه البيئة الخصبة التي تدعو في طروحاتها إلى معاداة الأجنبي الذي لا يأتي منه الخير، وجدت من يؤيدها حيث توافقت نتاجات أفكارهم المتطرفة، والمفاهيم الدينية المزيفة التي ابتكروها مع وجود البيئة المناسبة التي تتقبل الموت وفكرة الحصول على الراحة الأبدية في الجنة المزعومة، وتم الإيمان بالانتحار كأفضل طريق للتخلص من الدنيا بعد الرضوخ التام إلى فكرة أن الكوارث راجعة إلى معصية الله.

(1) سورة: النساء، الآية: 198.

وبعدما شعروا بأن وجودهم في هذه الدنيا يشكل لوحدها كارثة عظيمة ما لبثوا أن استسلموا بسهولة تامة إلى الموت تعبيراً عن موقفهم اليائس من الحياة الصحيحة والتعايش السلمي مع الآخرين.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

لقد استغل هؤلاء المتطرفون الإرهابيون الشخصية الإسلامية المهزوزة المتوجسة الخائفة وغير المتوافقة مع مجتمعها ومع العالم، إلى جانب استغلال وسائل الإعلام والكتب والفتاوى التي تصور للشباب أن حياتهم لا تستحق أن يعيشوها في هذه الدنيا بلا جهاد ضد الأجنبي، وأن الآخرة أفضل لهم لأن الجنة التي وعدهم الله هي قريبة منهم إذا أدركوا بأن الموت هو الوسيلة المناسبة لإدراك مبتغاهم، وهذا يفسر تجنيدهم للكثير من الانتحاريين الحمقى.

إن مفاهيم الدين الإسلامي لا تحمل خللاً على الإطلاق، وإنما الخلل في قراءة هذه المفاهيم التي فسرها المتعصبون المتطرفون من الأصوليين التكفيريين بما يتناسب وتطلعاتهم وأفكارهم الشيطانية.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[2].

الإسلام دين سهل يرتكز على المحبة والسلام، إلا أن البعض ممن لا يمتون إلى الإسلام بصلة تمردوا وانصاعوا لأفكارهم الخبيثة، ووقعوا في فخ فتاوى علماء الضلالة والتكفير. حتى أصبحنا نعيش في زمن نحتاج فيه إلى رجال دين شجعان يتحدون الباطل ويقفون إلى جانب الحق، كما نحتاج إلى مثقفين شجعان في سبيل نقل الحقائق كاملة لتحقيق العدالة لمجتمعاتنا.

فالعدالة ليست في الجانب الديني فقط بل في الثقافة المجتمعية بكل أنواعها.

وعلينا أن نهتم بأسلوب الفكر النقدي للوصول إلى عمق الحقائق، فالشجاعة الحقيقية لا بد منها، لا سيما في الاعتراف بأننا نحتاج بالفعل إلى تنقية التاريخ

(1) سورة: النحل، الآية: 33.

(2) سورة: الحج، الآية: 55.

الإسلامي والثقافة الإسلامية من الكثير من الشوائب، وأن لا ندع ذلك الخلل يستمر في ثقافتنا وتعليمنا المعاصر.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾[1].

(1) سورة الحج، الآية: 54.